

إيطاليا ومؤتمر الصلح

الانكماش بعد التوسع

كان المتوقع أن ينعقد مؤتمر الصلح ببإريس في اليوم الأول من شهر مايو لسنة ١٩٤٦ . ولكن مضاعفات دولية جاءت ترجى انعقاده إلى الموعد الذي يحدده « وزراء الخارجيات » الذين يجتمعون في الخامس والعشرين من شهر أبريل ، بل جاءت تنذر بأنه قد لا يعقد بالمدى الذي كان قد أعلن ذهابه إليه ، إذ قد لا يتوافر إجماع الرأى لدى « وزراء الخارجيات » فيؤثر عقد معاهدات منفردة على عقد مؤتمر للصلح عام .

ومهما يكن من أمر الاتجاه الذى ستسفر عنه الملبسات فإن معاهدة الصلح مع إيطاليا هي التى تشغل « الدبلوماسية » العالمية هذه الأيام ، والتخوم الإيطالية هي التى تنال أكبر نصيب من شغل هذه الدبلوماسية .

وقد خرجت الحبشة بالفعل من نطاق الإمبراطورية الرومانية الجديدة التى كان يحلم بها موسوليني ، ولا بد أن ستخرج من السيطرة الإيطالية أرتريا وأن يخرج الصومال أيضاً ، وهما القطران المجاوران للذان لا تقتأ الحبشة تطالب بهما ، كما تعنى إنجلترا بمصيرهما وهما على حدود السودان وبعض مستعمراتها الإفريقية . وكذلك سيكون شأن جزر الدوديكانيز التى كانت إيطاليا قد استولت عليها سنة ١٩١١ من تركيا وكانت قد احتلتها واحتلت رودس معها على اعتبار أنها وريثة البندقية والمسيحية اللاتينية فى القرون الوسطى . وجزر الدوديكانيز إغريقية تربد اليونان أن تعود إليها ، وإن كان الاتحاد السوفيتى إذ يشعر أنه وريث « الإمبراطورية الشرقية القديمة » — يداعب أمل الاستيلاء عليها أو على بعضها حتى تكون له منها نقطة ارتكاز فيما وراء البوسفور والدرديل .

ويجىء بعد ذلك دور ليبيا ، وهى التى وجه منها الهجوم على وادى النيل ، واتجهت منها الأنظار إلى ما وراء وادى النيل من الأقطار الآسيوية

الموصلة إلى إيران وإلى الهند . ويصدر عن إنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا ميل إلى وضعها تحت الوصاية ، على أن تكون هذه الوصاية من نصيب إنجلترا بالنسبة لبرقة ، ومن نصيب إيطاليا ذاتها بالنسبة لطرابلس . وتعارض روسيا إرجاع النفوذ الإيطالي إلى طرابلس ، وتطالب بأن تكون لها هي الوصاية على ليبيا كلها إن لم يعلن استقلالها . وتنادى مصر وسائر البلاد العربية بضرورة استفتاء الأهليين فأما إلى استقلال وإما إلى وصاية الجامعة العربية دون سواها

وهكذا تصفى الممتلكات الإيطالية السابقة في إفريقيا الشرقية وفي إفريقيا الشمالية وفي شرق البحر المتوسط . ويرجع بالبصر إلى إيطاليا الأوربية ذاتها فتوضع أمامه مسائل ثلاث : تصحيح التخوم طوال جبال الألب الفرنسية ، وتبعية التيرول ، ومصير تريستا ، وقد يضاف إليه مصير جزيرة بانتيليريا في قناة صقلية ، وهي الجزيرة الصغيرة التي تتوسط المسافة بين صقلية وتونس والتي كان موسوليني قد جعل منها قاعدة بحرية تصلح لالتجاء النسافات والغواصات كما تصلح حاملة طائرات ثابتة في ممر إجباري . وأغلب الظن أن بريتانيا العظمى ستطالب بنزع السلاح عن هذه الجزيرة وإن لم يكن لها أى أثر جدى في مضايقة حركات البحرية البريتانية خلال الحرب العالمية الثانية .

أما تصحيح التخوم عند جبال الألب الفرنسية ، فيرجع الأمر فيه إلى ما تراه النظرية الفرنسية من أن بعض القرى التي اختارت انضمامها إلى فرنسا في استفتاء سنة ١٨٦٠ ولكن ألحقت بإيطاليا تمكيناً لملكها من الاحتفاظ بالمساحات اللازمة لصيده ، يجب أن تعود إلى فرنسا ، ولا تزال رغبة الأهليين في تلك القرى هي التي أعلنها جدودهم منذ ست وثمانين سنة . وهذا إلى أن بعض المراعى الواقعة في المنحدر الفرنسى والتي تصلح لغذاء ماشية القرى الفرنسية القريبة ملحقة بإيطاليا .

ويخص الفرنسيون بالذكر حالة وادى أوست ، وأهله يتكلمون الفرنسية من قرون ، ويحسون بقلوبهم أنهم فرنسيون . وقد أراد موسوليني أن « يُتَلِّينهم » فكانت محاولاته عبثاً . لكن هذا الوادى واقع على المنحدر الإيطالى ، فيجب إرضاء لأهله وتحقيقاً لرغباتهم القومية تصحيح التخوم لإعادتهم إلى فرنسا وإلحاق واديهم بها . ولكن منطقتهم قريبة من مدينة تورينو التي يتصلون بها اتصالاً تجارياً وثيقاً .

وتدعم النظرية الفرنسية اتجاهها بسابقة الألاس والورين ، وتدعو إلى استفتاء أهل القرى الواقعة على التخوم الفرنسية الإيطالية ليختاروا مصيرهم بأنفسهم ، كما كان هو الحال بالنسبة للتخوم الفرنسية الألمانية .
وأما مسألة التيرول الجنوبي فأمرها راجع إلى أن الإمبراطورية النمسوية المجرية كان لها إلى الجنوب من ممر برنز إقليم واسع كانت عاصمته مدينة ترنتي ، وكان أهل قسمه الشمالى من الألمان وأهل قسمه الجنوبى من الإيطاليين ، وقد ضم كله بقسميه إلى إيطاليا سنة ١٩١٨ عند انتهاء الحرب العالمية الأولى ، بحجة أن الحدود الدفاعية كان ينبغي أن تمر ببرنز . وحاولت إيطاليا « تلينة » السكان الألمان ، وكانت النمسا تتكرر احتجاجاتها على هذه المحاولات الإيطالية . فلما تحالف هتلر وموسوليني رضى أولهما أن يترك لثانيهما شأن المتكلمين بالألمانية فى ذلك الإقليم . لكن النمسا الجديدة التى عادت إلى الوجود بعد الحرب العالمية الثانية قامت تطالب الآن بإجراء استفتاء يعرب به الأهليون عن ميولهم ، وقامت إيطاليا الجديدة من جانبها تقترح للقسم النمسوى استقلالاً ذاتياً ثقافياً إن لم يكن إدارياً فى دائرة الدولة الإيطالية .
وتبقى المسألة الثالثة مسألة تريستا ، وهى المسألة الشائكة حقاً التى يخشى بعض المتطيرين أن يندلع منها لهب حرب أوروبية أو عالمية ثالثة .

وكانت تريستا قبل الحرب العالمية الأولى عاصمة إقليم استريا النمسوى الذى كانت تتبعه ميناء بولا الحربية . وكانت فيومى إلى الجنوب الشرقى مدينة إيتالية اللغة ولكنها ميناء مجرية ، كما كان إقليم دالماسيا إلى الجنوب أيضاً . وكانت إيطاليا تطالب بإقليمى استريا ودالماسيا على اعتبار أنهما كانا فيما مضى من أقاليم جمهورية البندقية وإن كانا آهليين من قديم بالصلابة ، إذا استثنيت موانئ تريستا وفيومى وزارا الآلهة بالإيطاليين .

وقد عرض مؤتمر فرساي للتزاع وقضى فيه بالحاق تريستا وإقليم استريا بإيطاليا ودالماسيا وزارا بيوغوسلافيا ، واحتفظ بحل آخر لفيومى التى قصد إليها دانويزيو برجاله واقتطعها اقتطاعاً . وظلت الحال على هذا المنوال إلى أن سقطت إيطاليا بسقوط موسوليني ، فهب صقلية إقليم استريا وطردها الشرطة الإيطالية وأعلنوا فيه حكمهم ، وجاء الانجليز والأمريكيون فلم يجدوا إلا الأخذ بزعمهم مبدءاً الأمر الواقع ، وإن كانوا قد راحوا يحتلون المنطقة كلها دون أن

إيطاليا ومؤتمر الصلح

يمنع احتلالهم الجيش اليوجوسلافي من الوصول إلى خط الدفاع الواقع عند ضواحي تريستا .

وموقف يوجوسلافيا اليوم من المشكلة هو أن إقليم استريا كله يجب أن يكون جزءاً من يوجوسلافيا بتريستا وفيومي وزارا . وتقول إيطاليا إن فيومي وزارا وجزيرتين أو ثلاثاً يتكلم جميع أهلها الإيطالية فيجب أن تلحق كلها بإيطاليا . أما تريستا — وكثرة أهلها هي أيضاً إيطالية — فستنهار اقتصادياً إذا ما ضمت إلى يوجوسلافيا . وتلوح في الأفق نظرية موقعة بين الاتجاهين ، تقول بجعل تريستا مدينة حرة تصبح بمثابة ميناء حرة ، على الإداري والبحر المتوسط لأوروبا الوسطى كلها .

وإذن فستخرج إيطاليا بمعااهدة الصلح المنبعثة من مؤتمر شامل أو من مصالحات منفردة ، معدلة حدودها تعديلاً يضعف من شأنها ويفرض عليها الانكماش بعد أن كانت تتيه في أحلام التوسع .

وعجيب هذا القدر ! بدأ موسوليني حياته العامة « اشتراكياً » بمقت الحرب ويحمل على المؤيدين للنزاع الإيطالي التركي ، ويحمل على الموجهين للقوات الإيطالية إلى طرابلس لاتراعها وفتحها ، ثم ينقلب « فاتحاً متوسعاً » يعتدى على الحبشة ويحلم بتحقيق « الامبراطورية الرومانية العظيمة » و« بحره » الخاص ، ثم لا يلبث هذا الحلم أن يتبدد ، ولا تلبث أجزاء تلك الامبراطورية أن تتناثر ولما يمض بعد عام واحد على موته بأيدي شعبه تلك الميتة الشنيعة !

محمد عزمي